

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ،

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ،

أما بعد:

فهذه لمحة وجيزة سميتها: (لفت الانتباه إلى مناهج بعض المفسرين في تقرير مسائل العقيدة وما حوته من اشتباه)؛ وقع الاختيار فيها على جمهرة من التفاسير التي تبين لي على حدود نظري القاصر أنها من أهم وأشهر الكتب المعتمدة لدى العامة والباحثين على اختلاف أنظارتهم ومستوياتهم العلمية والشرعية؛ مع الإشارة أن الاختيار لم يكن مقصودا ابتداء بل جاء تبعا لعملية بحث في إحدى المسائل اللغوية الأصولية دفعني إلى مطالعة مجموعة من التفاسير وكتب في غير ما واحد من الفنون الأخرى من لغة وأصول وفقه وخلاف...؛ حتى اجتمعت لي حصيلة من التقييدات ضمنيتها هوامش البحث - إن صحت تسميته بحثا- ثم تبين لي أفراد ما تجمع لدي من مناهج المفسرين في هذه الوريقات القليلة العدد الوافرة المدد بحول الله تعالى وتوفيقه؛ مع تنحيتي للتفاسير التي سلمت مناهج أصحابها من الاشتباه كتفسيري الإمامين الكبيرين الطبري وابن كثير ومن على أضرابهما وجميع من مشى على منوالهما من أصحاب التفاسير -رحم الله الجميع-؛ وحتى لا أطيل ووصولاً إلى الثمرة المرجو قطفها من هذه الإلماحة نلج في المراد؛ والله الموفق سبحانه جل وعز:

¹ تفسير البحر المحيط؛ محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي؛

وفي تفسيره بعض التأويلات غير السائغة خالف بها مذاهب السلف في باب الأسماء والصفات؛ ويا حبذا لو يتصدى لدراسة كتب التفسير متخصص من أهل الإثبات فينخل مناهج أصحابها في العقيدة؛ وذلك أنني رأيت على قصر باعي وقلة اطلاعي أبحاثا كثيرة عني فيها أصحابها بمناهج المؤلفين في تقرير العقيدة في أكثر من فن كاللغة والفقه وأصوله؛ ولم أفق على بحث حول مناهج المفسرين في تقرير العقيدة مع خطورته وأهميته البالغة؛ مع اكتساح هذه التفاسير لمكتبات أهل الإثبات- والذي يجدر بالذكر أن بعض العلماء مروا على هذه المسألة تبعا في طيات كتبهم ومن أولئك ابن تيمية في مقدمة التفسير؛ ومجموع الفتاوى-؛ ولتحقيق واجب البيان وسيرا على الشرط الذي وضعه أهل العلم عند النقل عن أمثال هؤلاء من بيان حالهم ليحذرهم الناس ولا يغتر بهم العامة لمجرد النقل عنهم مع الإشارة إلى أن بعضهم معدودون في أئمة الإسلام ولا يستغنى عن علمهم وإنما وقعوا فيما وقعوا بدافع البيئة وغيرها من الأسباب التي اعتذر بها العلماء لهم؛ فإنني أحاول بيان حالهم بذكر بعض الإشارات مراعاة لحال الإيجاز وعدم الخروج عن المقصود؛ مع التزام النصيحة للمسلمين بأخضر عبارة؛ والله من وراء القصد.

² مفاتيح الغيب؛ فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي؛

من متكلمي الأشاعرة اشتغل بالفلسفة وقيل أنه رجع إلى مذهب السلف في التوحيد؛ وقال ابن تيمية عن تفسير الفخر: "فيه كل شيء إلا التفسير"؛ وقد نافح عنه الصفدي في الوافي بالوفيات؛ وعلى العموم فإنه في غالب ردوده على أصحاب المقالات يأتي بالشبهة ناجزا ويردها نسيئا؛ فلا يستفيد من تفسيره إلا عارف متخصص.

^٣ تفسير أبي عليٍّ مُحَمَّد بن عَبْدِ الوَهَّابِ البَصْرِيِّ المعتزلي؛ المشهور بالجبائي؛

شيخ المعتزلة؛ ورأس المتكلمين في عصره؛ وإليه نسبة الطائفة (الجبائية)؛ له مقالات وآراء انفرد بها في المذهب -أي الاعتزال- وطوام في المعتقد خالف فيها عقائد جماهير المسلمين ضمنها تفسيره هذا؛ نسبته إلى جبي (من قرى البصرة) اشتهر في البصرة؛ ودفن بجبي؛ رد عليه الأشعري؛ مات بالبصرة سنة ثلاثٍ وثلاث مائة.

^٤الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل؛

مليء بمذاهب المعظلة لأسماء الله جل وعلى وصفاته وسلبه ما اتصف به من معاني الجلال وصفات الكمال؛ ومؤلفه أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (سنة الولادة ٤٦٧هـ / سنة الوفاة ٥٣٨هـ)، من أعيان المعتزلة ورؤوسهم ولا ينظر في تفسيره وباقي كتبه إلا عارف متخصص.

^٥التحرير والتنوير؛ محمد الطاهر بن عاشور؛

أشعري متضلع؛ معدود في جمع حاولوا التقريب بين مذهب السلف والخلف وذلك ظاهر في تكلفه لتحويل قولهم: "مذهب السلف أسلم و مذهب الخلف أعلم"؛ مع ما في كلامه -عفا الله عنه- من طعن مبطن في أئمة السلف ووصف فقهم بفهم العوام وذلك كقوله: "والموصوف بأسلم وأعلم الطريقة لا أهلها؛ فإن أهل الطريقتين من أئمة العلم؛ وممن سلموا في دينهم من الفتن؛ وليس في وصف هذه الطريقة بأنها أعلم أو أحكم غضاضة من الطريقة الأولى؛ لأن العصور الذين درجوا على الطريقة الأولى فيهم من لا تخفى عليهم محاملها بسبب ذوقهم العربي وهديهم النبوي وفيهم من لا يُعير البحث عنها جانبا من همته مثل سائر العامة؛ فلا جرم كان طيَّ البحث عن تفصيلها أسلم للعموم؛ وكان تفصيلها بعد ذلك أعلم لمن جاء بعدهم"؛ فسبحانك اللهم هذا بهتان عظيم؛ وهل يخفى على مثل ابن عباس ومكحول والزهري ومالك والسفيانيين من السلف تأويل الاستواء وغيره من الصفات وما تدل عليه من معنى ظاهر؛ أوليسوا هم القائلون: "أمروها كما جاءت" ولو كانت على خلاف الظاهر لما كتمونا علما ولا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهل أولئك إلا المبلغون عن الله ورسوله؛ ثم يجيء في آخر الزمان اللقاني فيقول: "وكل نص أوهم التشبيها *** أوله أو فؤوض ورم تنزيهاً"؛ وأشر من ذلك أن التفويض عند هذي الفئة بمعنى خفاء معاني الصفات واستئثار الله بعلمها أو إظهار بعض عباده عليها؛ وهل هذا إلا اختلاق ما أنزل الله به من سلطان؛ أوليس التمرير كما جاءت على اللسان الذي نزلت به؛ فاليد هي اليد ولكن بما يليق بذاته سبحانه دون السؤال كيف هي؛ أم التمرير عند القوم بلغة أعجمية لا يعلمها أهل العربية من قريش وما حولها فهم يمرونها لعجمتها وكأن لسان حال ابن عباس وإخوانه -على فلسفة القوم- ماندرى ما سميع ولا بصير ولا رحمن ولا رحيم ولا يد ولا عين؛ بل هي رموز جاءت للتقريب؛ فيا إخوان أوليس معناه -أي لازم

مذهبكم - أن تغييرها بغيرها جائز فلله أن يرمز بما يشاء مادام المعنى غير الظاهر المراد؛ أستغفر الله مما يقول أولئك القوم وأتوب إليه؛ ربنا لا تواخذنا بما يقولون؛ فإنهم لا يعلمون، أو أن يأتي من القوم من يقول أن اليد كناية عن النعمة؛ أو مجاز في الرعاية؛ والعياذ بالله، ومن أقواله كذلك أن الاستواء على العرش من المتشابهة فقال: "مثل قوله تعالى: {الرحمن على العرش استوى}... وهذا النوع أشدّ مواقع التشابه والتأويل"؛ وكذلك فظاهر كلامه أنه على طريقة الفلاسفة في مسألة الرمزية في خطابات الشريعة؛ وقد عبر عنها هنا بالتقريب مع تعنت في التأويل فقال: "وتفصيل ذلك وكيفية الاستعلاء مما لا قبل للأفهام به؛ إذ التعبير عنه تقريب، ويجوز أن يكون المراد من العرش ملك الله وحكمه تمثيلاً بعرش السلطان؛ أي كان ملك الله قبل خلق السموات والأرض مُلكاً على الماء."، وهاك درراً لإمامين جليلين من أهل الإثبات هما شيخا الإسلام في زمنيهما؛ قال ابن تيمية: "ومن قال: إن ظاهر شيء من أسمائه وصفاته غير مراد فقد أخطأ؛ لأنه ما من اسم يسمى الله تعالى به إلا والظاهر الذي يستحقه المخلوق غير مراد به؛ فكان قول هذا القائل يقتضي أن يكون جميع أسمائه وصفاته قد أريد بها ما يخالف ظاهرها؛ ولا يخفى ما في هذا الكلام من الفساد" [مجموع الفتاوى]، وقال محمد الأمين الشنقيطي: "والواقع في نفس الأمر أن ظواهر آيات الصفات وأحاديثها المتبادرة منها لكل مسلم راجع عقله هي مخالفة صفات الله لصفات خلقه؛ ولا بد أن نتساءل هنا فنقول: أليس الظاهر المتبادر مخالفة الخالق للمخلوق في الذات والصفات والأفعال؛ والجواب الذي لا جواب غيره: بلى؛ وهل تشابهت صفات الله مع صفات خلقه حتى يقال إن اللفظ الدال على صفته تعالى ظاهره المتبادر منه تشبيهاً بصفة الخلق؛ والجواب الذي لا جواب غيره: لا فبأي وجه يتصور عاقل أن لفظاً أنزله الله في كتابه مثلاً دالاً على صفة من صفات الله أثنى بها تعالى على نفسه يكون ظاهره المتبادر منه مشابهته لصفة الخلق؛ سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ؛ فالخالق والمخلوق متخالفان كل التخالف وصفاتهما متخالفة كل التخالف؛ فبأي وجه يعقل دخول صفة المخلوق في اللفظ الدال على صفة الخالق؛ أو دخول صفة الخالق في اللفظ الدال على صفة المخلوق مع كمال المنافاة بين الخالق والمخلوق؛ فكل لفظ دل على صفة الخالق ظاهره المتبادر منه أن يكون لائقاً بالخالق منزهاً عن مشابهة صفات المخلوق؛ وكذلك اللفظ الدال على صفة المخلوق لا يعقل أن تدخل فيه صفة الخالق" [أضواء البيان].

^٦ تفسير السراج المنير؛ محمد بن أحمد الشربيني شمس الدين؛

له خلط فاضح في مسائل توحيد المعرفة والإثبات وتأثر بما يذهب إليه متكلموا الأشاعرة في غالب الأحيان وعلى رأسهم الفخر الرازي فهو كثير النقول عنه مع الاطمئنان لتحريفاته لمعاني وظواهر النصوص؛ كتأويله اليد في قوله تعالى: {وقالت اليهود يد الله مغلولة} بأن غلّ اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود؛ ونسبته الكلام النفسي لرب العزة؛ ووصفه أهل الإثبات بالحشوية؛ ومن ذلك قوله: "وذهب بعض الحنابلة والحشوية إلى أنّ كلام الله تعالى حروف وأصوات متقطعة وأنه قديم."، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

^٧ تفسير النسفي؛ حافظ الدين أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي؛

من أهم أعيان الماتريدية [عداء الماتريدية للعقيدة السلفية: الشمس السلفي الأفغاني]؛ وفي تفسيره خلط في أسماء الله وصفاته يكاد الموحد المثبت يلفظ أنفاسه من ذكر مثله؛ ومن ذلك عده القول باستواء الله على عرشه وأنه بمعنى العلو عليه كما هو الظاهر دون تعطيل؛ يعتبره مما لا يجوز على الله؛ تكذيباً للنصوص الصريحة؛ ولياً لما ثبت بالنقول الواضحة الصحيحة؛ واتباعاً للظن الباطل؛ فلا يستفيد من كتبه إلا عارف متخصص وله في أهل الحق غنية عن مثله .

^ البحر المديد؛ (ابن عجيبة): أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي الحجوجي الحسنی الأنجری التطواني الفاسي الإدريسي الشاذلي؛ (متأخر ، وفيات: ١١٦٠ هـ / ١٢٢٤ هـ)؛

من رؤوس الصوفية وأشياخهم؛ وصفه بعض من ترجم له من حطاب الليل: "إيقاظ الهمم شرح متن الحكم أشهر مؤلفات ابن عجيبة؛ وأبداع ما وضع على متن الحكم العطائية من الشروح؛ شرح به متن الحكم العطائية؛ يعتبر الكتاب سجلاً ضخماً لنوادير أحوال رجالات الطريقة الدرقاوية؛ التي كان ابن عجيبة واحداً من أعلامها؛ ولا يزال ضريحه الذي يشرف على ربوة (زميج) على بعد (٢٠) كم من طنجة أحد معالم الطريقة الدرقاوية؛ حيث يتجمع الحجيج لإحياء ذكراه يوم (١٤ / سبتمبر) من كل عام."، والملاحظ على تفسيره أنه مزيج من الأشعرية والحلولية الإشارية والاتحادية؛ فمن أشعريته تفسيره الرحمة بالإنعام؛ فقال: "الرحمن الرحيم}؛ أي: الرحمن بنعمة الإيجاد؛ الرحيم بنعمة الإمداد."؛ وقصره صفات الذات على الست حيث يقول: "هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام}؛ قال القشيري: يُشير إلى مراتب الصفات الستة؛ وهي: الحياة؛ والعلم؛ والقدرة؛ والإرادة؛ والسمع؛ والبصر؛ أي: هو الذي تجلّى للأشياء كلها بذاته الموصوفة بالصفات الستة."؛ وإن كان في موضع آخر هو وشيخه القشيري يقرران أن من صفات الذات أيضاً (الرحمة)؛ فيقول: "قوله تعالى: {ورحمتي وسعت كل شيء}؛ قال القشيري: لم يُعلّقها بالمشيئة . يعني: كما قال في العذاب . لأنها نفس المشيئة؛ ولأنها قديمة؛ والإرادة لا تتعلق بالقديم؛ فلما كان العذاب من صفات الفعل علّقها بالمشيئة؛ بعكس الرحمة لأنها من صفات الذات."؛ ولكن هذا في الظاهر فقط فمذهب الأشاعرة صعب فهم يقررون أن الرحمة لا تكون صفة ذات إلا إذا أُوتت بالإرادة أي إرادة الإنعام وإلا فهي صفة فعل؛ وهذا كله منبني على قولهم بأن كل صفات الفعل مرجعها إلى صفة الإرادة؛ يقول البيهقي الأشعري: "وفي ذلك دلالة لقول من قال من أصحابنا: إن الرحمة من صفات الفعل؛ وهي من صفات العمل إذا ردت إلى النعمة التي أنعم الله تعالى بها على عباده وأعدّها لهم؛ فأما إذا ردت إلى إرادة الإنعام فهي من صفات الذات؛ وإليه ذهب أبو الحسن الأشعري رحمه الله؛ قال: إرادة الباري إذا تعلقت بالإنعام فهي رحمة." [الأسماء والصفات]؛ وقد صرح بأشعريته وأن الصفات سبعة دون أن يذكر معها صفة البقاء لأنها عند القوم مرادفة للحياة وهما بمعنى دوام الوجود فاستغنى بذكر الحياة عن ذكر البقاء؛ مع تقريره أنها من صفات الذات وذلك عند ذكره لمقام الفناء عند الصوفية ويسميه بالفناء في توحيد الذات وعنده يكون مقام البقاء وذلك لارتباطه ببقاء الذات الإلهية بخلاف ما دونه من مراتب الفناء فإنها مناطة بالحدوث؛ فقال: "وقوله: {وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نُوحِي إليه أنه لا إله إلا أنا} يعني: أن التوحيد مما أجمعت عليه الرسل والكتب السماوية؛ والفناء فيه على ثلاثة أقسام: فناء في توحيد الأفعال؛ وهو ألا يرى الفعل إلا من الله؛ ويغيب عن الوسائط والأسباب؛ وفناء في توحيد

الصفات؛ وهو أن يرى ألا قادر ولا سميع ولا بصير ولا متكلم إلا الله؛ وفناء في توحيد الذات؛ وهو أن يرى ألا موجود إلا الله؛ ذوقاً ووجدًا وعتدًا... وقد أشار بعضهم إلى هذه الفناءات؛ فقال: (فيفنى ثم يفنى ثم يفنى*** فكان فناؤه عين البقاء).؛ ويقول: "ينبغي للعبد أن يصفى مشرب توحيد؛ ويعتني بتربية يقينه؛ بصحبة أهل اليقين؛ وهم أهل التوحيد الخاص؛ فيترقى من توحيد الأفعال إلى توحيد الصفات؛ ومن توحيد الصفات إلى توحيد الذات؛ فنهاية توحيد الصالحين والعلماء المجتهدين تحقيق توحيد الأفعال؛ وهو ألا يرى فاعلاً إلا الله؛ لا فاعل سواه؛ وثمره هذا التوحيد: الاعتماد على الله؛ والثقة بالله؛ وسقوط خوف الخلق من قلبه؛ لأنه يراهم كآلات؛ والقدرة تحركهم؛ ليس بيدهم نفع ولا ضرر؛ عاجزون عن أنفسهم فكيف عن غيرهم؛ ونهاية توحيد العباد والزهاد والناسكين المنقطعين إلى الله تعالى توحيد الصفات؛ فلا يرون قادراً ولا مريداً ولا عالماً ولا حياً ولا سميعاً ولا بصيراً ولا متكلماً إلا الله؛ قد انتفت عنه صفات الحدث وبقيت صفات القدم؛ وثمره هذا التوحيد: الانحياش من الخلق والتأنس بالملك الحق وحلاوة الطاعات ولذيد المناجات؛ ونهاية توحيد الواصلين من العارفين والمريدين السائرين: توحيد الذات؛ فلا يشهدون إلا الله؛ ولا يرون معه سواه، قال بعضهم: لو كلفت أن أرى غيره لم أستطع؛ فإنه لا غير معه حتى أشهده."، ومن حلولياته الإشارية؛ -وذلك أن كل إشارات القوم مردها حلول ذات الله في كل مكان-؛ فقال: "الإشارة: قد أكثر الناس الكلام في شأن الروح؛ فرأى بعضهم أن الإمساك عنها أولى... وقال صاحب(الرموز في فتح الكنوز)على حديث: "من عرف نفسه فقد عرف ربه" قد ظهر لي من سر هذا الحديث ما يجب كشفه ويستحسن وصفه؛ وهو: أن الله سبحانه وضع هذا الروح في هذه الجثة الجثمانية؛ لطيفة لاهوتية؛ في كثيفة ناسوتية؛ دالة على وحدانيته تعالى وربانيته؛ ووجه الاستدلال من عشرة أوجه... الثامن: لما كان الروح في الجسد لا تعرف له كيفية ولا أينية؛ بل الروح موجود في سائر الجسد؛ ما خلا منه شيء في الجسد؛ كذلك الحق سبحانه موجود في كل مكان؛ وتنزه عن المكان والزمان."؛ ومن حلوليته القول بالمعية الذاتية: "وهو معكم أينما كنتم} بالعلم والقدرة والإحاطة الذاتية؛ وما ادعاه ابن عطية من الإجماع أنه بالعلم؛ فإن كان مراده من أهل الظاهر فمسلم؛ وأما أهل الباطن فمجمعون على خلافه؛ انظر الإشارة؛" ثم قال في إشارته التي أحال عليها: "وهو معكم أينما كنتم بذاته وصفاته؛ على ما يليق بجلال قدسه وكمال كبريائه؛ إذ الصفة لا تُفارق الموصوف فإذا كانت المعية بالعلم لزم أن تكون بالذات؛ فافهم وسلم إن لم تذق، حدثني شيخي الفقيه المحرر "الجنوي": أن علماء مصر اجتمعوا للمناظرة في صفة المعية؛ فانفصل مجلسهم على أنها بالذات على ما يليق به، وسمعتُه أيضاً يقول: إنَّ الفقيه العلامة "سيدي أحمد بن مبارك" لقي الرجل الصالح سيدي "أحمد الصقلي"؛ فقال له: كيف تعتقد: {وهو معكم أين ما كنتم} فقال: بالذات؛ فقال له: أشهد أنك من العارفين. اه، قلت: فبحر الذات متصل؛ لا يتصور فيه انفصال؛ ولا يخلو منه مكان ولا زمان؛ كان ولا زمان ولا مكان؛ وهو الآن على ما عليه كان."، ومن اتحاديته قوله: "وقوله تعالى: {يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ} أي: يوم يتجلّى لعباده بنور من نور ذاته؛ على صورة آدم؛ تشریفاً لهذا الآدمي؛ وفي الحديث: "إن الله خلق آدم على صورته" أي: على صورته التي يتجلّى بها لعباده في المحشر وفي الجنة؛ ولا يفهم هذا إلا الغواصون في بحر الأحدية؛ وحسب من لم يبلغ مقامهم التسليم ونفي التشبيه؛ فالعارفون يعرفون الله في جميع تجلياته؛ ولا ينكرونه في شيء منها؛ وأما ما ورد في حديث التجلي الأول لأهل المحشر فيُنكرونه -يقصد من سماهم أهل الظاهر-؛ ويقولون: "حتى يأتينا ربنا"؛ وإنما يقول ذلك علماء الظاهر أهل الدليل؛ وأما العارفون فقد عرفوه وأقرؤوه؛

وسكتوا سترًا للسر الذي عرّفهم به؛ ولذلك كتب ابن العربي الحاتمي إلى الفخر الرازي فقال: تعال نعرّفك بالله اليوم؛ قبل أن يتجلّى لك يوم القيامة؛ فنكره فيمن يُنكره. اه، وقال الورتجي: أخبر الله سبحانه أنه يكشف يوم الشهود لعشاقه وأحابيه ومُشتاقيه وعُرفائه عن بعض صفاته الخاصة؛ ويتجلّى منها لهم؛ وهو كشف في ستر الغيرة عن أسرار القَدَم؛ فيُشاهدونها؛ فيدعّون إلى السجود من حيث غشيتهم أنوار العظمة؛ حتى لا يحرقوا في كشف سر الصفة؛ فإنها موضع العظمة والكبرياء؛ وتُدوّ لطائف أنوار أسرار الذات تظهر في لباس الالتباس؛ حتى لا يفنيهم فناء لا بقاء بعده؛ والمقصود منه زوائد المحبة؛ والنظر إلى وجود العظمة. اه، قلت: وحاصل كلامه: أنّ الحق تعالى إنما تجلّى لعباده في الصورة الآدمية؛ حتى كشف عن ساقه غيرَ على سر الربوبية أن يظهر؛ وهو المراد بقوله: (يكشف لعشاقه عن بعض صفاته؛ ويتجلّى منها أي: من تلك الصورة لهم؛ وهو كشف في ستر الغيرة)؛ وأيضا: لو كشف لهم عن أسرار جبروته بلا واسطة لا يحرقوا؛ لكن تجلّى بأنوار صفاته ليطيعوا رؤيته؛ (يظهر لهم في لباس الالتباس)؛ وهو إظهار الصورة الآدمية؛ ليقوا بين فناء وبقاء؛ بين سكر وصحو؛ ولو تجلّى بأسرار ذاته الأصلية لا يحرقوا؛ أو سكروا بلا صحو؛ (وفنوا بلا بقاء)، والله تعالى أعلم... وغير ما ذكرت من خطل كثير؛ وفيه دليل قوي على التداخل بين الأشعرية والتصوف وهو ما ذهب إليه بعض المحققين أنهما امتدادان لبعضهما؛ ولا أدل على ذلك من مسألة المعية؛ ومسألة الفناء والبقاء، اللهم اهدنا وتوفنا على السنة عقيدة ومنهجاً وعبادة.

⁹ الدر المصون في علم الكتاب المكنون ؛ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يوسف بن عبد الدايم الشافعي الحلبي المعروف بالسمين ؛

والظاهر أنه على مذهب الأشعرية في صفات الباري جل وعز ؛ ومن ذلك تأويله الرحمة بإرادة الإنعام؛ بناء على أنها تابعة لصفات الذات -وقد مر بيان عقيدة الأشعرية في صفات الفعل وصفات الذات عند تفسير ابن عجيبة-؛ يقول السمين: "والرحمة لغةً : الرقة والانعطاف ؛ ومنه اشتقاق الرِّحْم ؛ وهي الابطنُ لانعطافها على الجنين ؛ فعلى هذا يكون وصفه تعالى بالرحمة مجازاً عن إنعامه على عباده كالمَلِك إذا عَطَف على رعِيته أصابهم خيرُه ؛ هذا معنى قول أبي القاسم الزمخشري ؛ ويكونُ على هذا التقدير صفة فعل لا صفة ذات ؛ وقيل : الرحمة إرادة الخير لمن أراد الله به ذلك ؛ ووصفه بها على هذا القول حقيقة ؛ وهي حينئذ صفة ذات ؛ وهذا القول هو الظاهر."؛ وتأويله استواء الله على عرشه بالاستيلاء؛... وغيرها من التأويلات الباطلة؛ والعياذ بالله.

¹⁰ اللباب في علوم الكتاب المؤلف؛ أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي؛ (بعد ٨٨٠ هـ)؛

وما قيل في السمين يقال في ابن عادل وذلك لنقله الحرفي عن السمين في تفسيره فلا يكاد يخرج عن اختياراته؛ وإن كان أحيانا يتعسف في التأويل؛ ومثال ذلك تأويله للاستواء على العرش بالاستواء على الملك والجلال -وكما أول كل ذلك بالتدبير- مع تكلفه في إقناع غيره بما ذهب إليه؛ مع رضاه أيضا بجعل الاستواء من صفات الباري بمعنى الاستيلاء؛ قال: "قوله: {ثم استوى على العرش}؛ أي بعد أن خلقهما استوى على عرش الملك والجلال... قال القفال: والدليل على أن هذا هو المراد قوله في سورة يونس: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ

ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى لَعْرَشِهِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ؛ فقوله: { يُدَبِّرُ } جرى مجرى التفسير لقوله: { اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ }؛ وقال: { يُعْشَى الْيَلَّ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ }؛ وهذا يدلُّ على أن قوله: { ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ } إشارة إلى ما ذكرناه؛ فإن قيل: فإذا حملتم قوله: { ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ } على أن المراد إذا استوى على الملك؛ وجب أن يقال لك: الله لم يكن مستوياً قبل خلق السموات والأرض؛ قلنا إنه تعالى كان قبل خلق العوالم قادراً على تخليقها وتكوينها؛ لا أنه كان مُكوِّناً ومُوجِداً لها بأعيانها؛ لأن إحياء زيد وإماتة عمرو؛ وإطعام هذا؛ وإرواء ذلك؛ لا يَحْصُلُ إلا عند حصول هذه الأحوال؛ فإذا فَسَّرْنَا العرش بالملك؛ والملك بهذه الأحوال صحَّ أن يقال: إنه تعالى إنما استوى على ملكه بعد خلق السموات والأرض؛ بمعنى أنه إنما ظهر تصرفه في هذه الأشياء وتدبيره لها بعد خلق السموات والأرض؛ والقول الثاني: أن استوى بمعنى استولى؛ كما نذكره في سورة (طه) إن شاء الله تعالى، فالحمد لله الذي أنجانا من الخلط والتقليد.

١١ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز؛ أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي؛ (٤٨١ / ٥٤٢ هـ - ١٠٨٨ / ١١٤٨ م)؛

وقد ملء تفسيره بالأشعريات؛ ولو نزهه واعتمد على مذهب السلف لكان أسلم وأحكم وقبل ذلك أعلم؛ ولكن الله يهدي ويضل وإليه المنقلب والكمال له وحده؛ ومن أشعرياته جعله الكلام صفة قائمة بالذات؛ وجعله الاستواء بمعنى الاستيلاء وبمعنى الغلبة والقهر؛ ونسبته لسفيان الثوري كلاماً ضعيفاً لا يقول مثله عربي ولا عاقل فكيف يقول مثله سفيان؛ ومجرد حكاية مثله كفيلاً بتركه بله الرد عليه - وذلك أن الله فعل فعلاً سماه استوى؛ فإيا له من افتراء مضحك؛ ثم ولو سلمنا أن سفيان قاله فمن أين له أن يتكلم في صفات الله دون دليل ويحملها على ما يريد أو يصرفها عن ظواهرها دون برهان؛ وهل مجرد قول سفيان به يجعله حجة؛ بلى فالحجة في كلام الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم - مع تركه ما تواتر عنه بنقل العدول؛ قال: "وكلام الله للنبي موسى عليه السلام دون تكييف ولا تحديد ولا تجويز حدوث ولا حروف ولا أصوات والذي عليه الراسخون في العلم أن الكلام هو المعنى القائم في النفس ويخلق الله لموسى أو جبريل إدراكاً من جهة السمع يتحصل به الكلام"؛ وقال: "واختصار القول في قوله { ثم استوى على العرش } إما أن يكون { استوى } بقهره وغلبته؛ وإما أن يكون { استوى } بمعنى استولى؛ إن صحت اللفظة في اللسان فقد قيل في قول الشاعر: (قد استوى بشر على العراق ** من غير سيف ودم مهران) إنه بيت مصنوع؛ وإما أن يكون فعل فعلاً في العرش سماه (استوى). "؛ نسأل الله السلامة؛ فالحمد لله الذي عافانا مما ابتلى به بعض الناس وفضلنا على كثير ممن خلق تفضيلاً؛ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم؛ سبحانه وتعالى.

١٢ الوجيز في تفسير الكتاب العزيز؛ علي بن أحمد الواحدي أبو الحسن؛ (سنة الوفاة ٤٦٨ هـ)؛

وقد شهد له ابن تيمية بطول الباع في علوم العربية إلا أنه كان بعيداً عن طريق أهل السنة والجماعة؛ وحقاً ما قال رحمه الله؛ فتفسيره مليء بالتأويل غير السائغ؛ ومن ذلك تأويله الساق بالشدة؛ مع ثبوت النص عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن الله يكشف عن ساقه؛ فكانت الإضافة إضافة صفة ذاتية؛ فلا يجوز متابعة ابن عباس هنا فإنه لم

يقف على الحديث؛ ولو وقف عليه لما تعداه؛ وتأويله الرحمة بإرادة الخير: {الرحمن الرحيم} : صفتان لله تعالى معناه: ذو الرحمة أي: الرحمة لازمة له وهي إرادة الخير ولا فرق بينهما مثل: ندمان ونديم . - وهو تحكم في النصوص وتفسير للفظ بلازم معناه دون دليل؛ مع ما هو معلوم لدى العقلاء من الفروق بين لوازم الصفات ومطابقتها؛ فالأولى تدل على جزئها والثانية تدل على كلها كما هو مبين في الأصول وجاءت به لغة الضاد التي بجهلها وقع لأولئك المتفلسفة ما وقع من تحريف في صفات الباري جل في علاه-؛ وكما فسر الاستواء على العرش بالاستيلاء؛ وغيرها من الظنون الخاطئة في الله وصفاته.

١٣ أنوار التنزيل وأسرار التأويل؛ ناصر الدين أبو الخير أو أبو سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشافعي البضاوي الفارسي ثم الشيرازي؛ (ت: ٦٩١ هـ ؛ أو: ٦٨٥ هـ)؛

وكتابه ملخص عن الكشاف مع تأثر باعتزالياته في بعض الأحيان؛ كإنكاره للمس وصرع الجن للإنس؛ وكما تابعه في العمل بالحديث المكذوب في فضائل سور القرآن؛ فجعل في آخر كل سورة يفسرها حديثاً في فضلها؛ مع تأثره بعبارات الرازي؛ وأصوله في الصفات لا تبعد عن أصول الأشعرية؛ ومن ذلك قوله: "والرحمة في اللغة رقة القلب وانعطاف يقتضي التفضل والإحسان ومنه الرحم لانعطافها على ما فيها وأسماء الله تعالى إنما تؤخذ باعتبار الغايات التي هي أفعال دون المبادي التي تكون انفعالات..." - وكلامه هنا شبيه بقول المعتزلة في أن الأسماء لا تعلق؛ إلا أن الفرق بينهما أن الأشاعرة أولوا أوفوضوا والمعتزلة عطلوا-؛ ثم فسر الرحمة بالإنعام فقال في الرحمن: "معناه المنعم الحقيقي البالغ في الرحمة غايتها."؛ وتأويله الساق بالشدّة: {يوم يكشف عن ساق} : يوم يشتد الأمر ويصعب الخطب؛ وكشف الساق مثل في ذلك وأصله تشمير المخدرات عن سوقهن في الهرب."؛ وغير ما ذكرت كثير .

١٤ بحر العلوم؛ أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي؛ (ت: ٣٧٣ هـ)؛

قال صاحب كتاب التفسير والمفسرون - وفي هذا الكتاب نفسه خلط يدل على بعد صاحبه المسمى الذهبي عن منهج أهل الإثبات-: "كما أنه يروي من القصص الإسرائيلي؛ ولكن على قلة وبدون تعقيب منه على ما يرويه؛ وكثيراً ما يقول: قال بعضهم كذا؛ وقال بعضهم كذا؛ ولا يُعيّن هذا البعض؛ وهو يروي أحياناً عن الضعفاء؛ فيُخرّج من رواية الكلبي ومن رواية أسباط عن السدي؛ ومن رواية غيرهما ممن تُكلم فيه."

١٥ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني؛ محمود الألوسي أبو الفضل؛ (المتوفى ١٢٧٠ هـ)؛

وهو غير حفيده أبي المعالي السلفي المعتقد صاحب كتاب: (شرح مسائل الحاهلية)-؛ وصفه الشيخ صالح آل الشيخ بأنه ماتوريدي [مناهج المفسرين]؛ وقد وقفت على نقله لكلام الصوفية في وحدة الوجود والثناء عليه؛ مع تمجيده لما يطلقون عليه اسم الإشارات؛ وكذلك تجويزه التوسل بجاه النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم؛ وفي تفسيره خلط وتشويش؛ بحيث يصعب معرفة رأيه في المسألة التي يبسطها.

١٦ باب التأويل في معاني التنزيل؛ علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن؛ (٦٧٨ هـ - ٧٤١ هـ)؛

صوفي؛ وافق الأشاعرة في مسائل كثيرة كتفويض صفة العرش؛ أو حملها على المعنى المجازي وهو العز والسلطان؛ وكتفسيره الرحمة بالإنعام حيث يقول: "أصل الرحمة رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم وتستعمل تارة في الرقة المجردة عن الإحسان وتارة في الإحسان المجرد عن الرقة وإذا وصف بها الباري جل وعز فليس يراد بها إلا الإحسان المجرد دون الرقة فرحمة الله عز وجل عبارة عن الإفضال والإنعام على عباده وإيصال الخير إليهم؛ وقيل: هي إرادة إيصال الخير والنعمة إلى عباده فعلى القول الأول تكون الرحمة من صفات الأفعال وعلى القول الثاني تكون من صفات الذات"؛ وكما عليه انتقادات أخرى؛ قال صاحب كتاب التفسير والمفسرون: "ولكننا نرى الخازن يمر بقصص كثيرة لا يُعقَّب عليها؛ مع أن بعضها غاية في الغرابة؛ وبعضها مما يخل بمقام النبوة؛ فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى: {إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ}.. الآية؛ نراه يذكر قصة أصحاب الكهف؛ وسبب خروجهم إليه عن محمد بن إسحاق ومحمد بن يسار؛ وهي غاية في الطول والغرابة ومع ذلك فهو يذكرها ولا يُعقَّب عليها بلفظ واحد؛ ومثلاً عند تفسيره لقوله تعالى: {وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذَكَرَى لِلْعَابِدِينَ}.. نراه يروي في حق أيوب عليه السلام؛ قصة طويلة جداً عن وهب بن منبه؛ وهي مما لا يكاد يقرها الشرع أو يُصدِّقها العقل؛ لما فيها من المنافاة لمقام النبوة؛ ومع ذلك؛ فهو يذكر هذه القصة ويمر عليها بدون أن يُعقَّب عليها بأية كلمة؛ فعلى القاريء في كتب التفسير الانتباه لما فيها وعلى العامة أن يسألوا أهل العلم عن الكتب المفيدة الصافية مما يكدر العقيدة الصحيحة حتى يسلم معتقدتهم في الله وصفاته وأنبياؤه وشريعته التي أنزلها على رسوله محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم فذلك هو رأس مال المسلم فليحذر مما يضيعه أو يتلفه؛ والله يحفظ ويهدي ويجتبي من يشاء.

١٧ تفسير القرآن؛ عبد الرزاق بن همام الصنعاني؛ (سنة الولادة ١٢٦ / سنة الوفاة ٢١١)؛

الإمام؛ وصفه الإمام الذهبي وغيره بالتشيع؛ ولم أجد من طعن في تفسيره أو في علمه من أهل التحقيق إلا رواية أنه كان ينتقص معاوية -رضي الله عنه-؛ ولا أعلم مدى ثبوتها على حد اطلاعي القاصر -والله أعلم-.

١٨ غرائب القرآن ورجائب الفرقان؛ نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري؛ (ت: بعد ٨٥٠ هـ)؛

وقد وصف صاحب كتاب روضات الجنات القمي بالتشيع؛ والمعلوم أن من أولى أصول الشيعة تفضيل علي على عثمان؛ و القول بأنه أحق بالخلافة من أبي بكر وعمر؛ والطعن في عائشة -رضي الله عنهم جميعاً-؛ ولكن كل من هذا لم أقف عليه في تفسيره بل وقفت على نقيضه؛ قال القمي: "هؤلاء الإمامية فلو كانت الآية دالة على إمامة علي لاحتج بها كما احتج بما ينقلون عنه أنه تمسك يوم الشورى بخبر الغدير وخبر المباهلة وجميع مناقبه وفضائله؛ وهب أنها دالة على إمامته لكنه ما كان نافذ التصرف في حياة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فلم يبق إلا أنه سيصير إماماً ونحن نقول بموجبه ولكنه بعد الشيوخ الثلاثة."؛ وقال في تفسيره لآية الإفك: "فيها تعظيم شأن الرسول صلى الله عليه

وسلم وتسليمة له وتنزيه لأُم المؤمنين وتطهير لأهل البيت وتهويل للطاعين فيهم إلى غير ذلك من الأحكام الشرعية والآداب العقلية؛ وقيل: الخطاب لعائشة وحدها والجمع لتعظيمها."؛ وإن كان الظاهر من كلامه التوقف في تفضيل الصحابة بعضهم على بعض مع إشارة خفية إلى تفضيل فاطمة والحسن والحسين وعلي على سائر الصحابة؛ ومن ذلك قوله: "وأما فضل أصحاب الكساء فلا شك في دلالة الآية على ذلك؛ ولهذا ضمهم إلى نفسه بل قدمهم في الذكر"؛ وقوله: "واعلم أن بعض الشيعة زعموا أن السورة نزلت في علي رضي الله عنه لقوله {يتزكى} لأنه قال في موضع آخر {ويؤتون الزكاة وهم راكعون}؛ وقال بعض أهل السنة: إنها تدل على أفضلية أبي بكر لأنه قال في وصف عليّ وسائر أهل البيت رضي الله عنهم {ويطعمون الطعام} إلى قوله {إننا نخاف} وذكر في صفة أبي بكر أنه لا ينفق إلا لوجه الله من غير شائبة رغبة أو رهبة؛ وهذا المقام أعلى وأجل؛ وعندي أن أمثال هذه الدلائل لا تصلح لترجيح أكابر الصحابة بعضهم على بعض؛ وأن نزول هذه السورة في الشخص الفلاني مبني على الرواية فلا سبيل للاستدلال إليه."؛ ولكن وإن سلم ظاهرا من الرفض فلم يسلم من التأويل الفاسد؛ وكما لم يسلم من التوسل غير المشروع؛ قال في آخر تفسيره: "وإني أرجو من فضل الله العظيم وأتوسل إليه بوجهه الكريم؛ ثم بنبيه القرشيّ الأبطحيّ."؛ والله أعلم وأحكم.

١٩ - ٢٠ تفسير الجلالين؛

ابتدأه جلال الدين المحلي فاخرمته المنية وقد أتم منه الفاتحة والنصف الثاني من القرآن؛ وأتم جلال الدين السيوطي بقيته من البقرة إلى الإسراء؛ لم يخل من التأويلات الفاسدة على طريقة الأشاعرة؛ ومن أمثلة ذلك تفسير قوله تعالى: {إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ} بإتيان أمره؛ وقوله تعالى: {وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ} بأن اليمين القدرة أي السماوات مطويات بقدرة الله؛ وغير هذا من التأويلات الفاسدة؛ كتحريف معنى الرحمة والاستواء وغيرها من الصفات؛ على تفاوت بينهما في تكلف التأويل؛ والذي يظهر أن المحلي أكثر عملا به من السيوطي -رحمهما الله وعفا عنهما- .

هذا ما تجمع لي من مهمات التفاسير الخطيرة القدر والمشتهرة في كل قطر ؛ فلعل فيما نشرته هنا نبراسا للطلابين وسبيلا للباحثين ؛ وقدوة للمفتشين ؛ وليس ذلك على الله العلي بعزيز .

والحمد لله الذي بشكره تتم الصالحات .

وكتب بلال يونسى .

سنة : ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٩ م